

الدراسات المستقبلية في العلوم السياسية (مقاربة مفاهيمية ومنهجية)

الأستاذة هبة بوشقورة

جامعة مولود معمري - تيزي وزو -

مقدمة :

تكتسب الدراسات المستقبلية أهمية تزداد مع ازدياد الانفتاح الذي صحبته تداعيات العولمة، إذ بات من الضروري تمحيص النظر في ما هو أبعد من الحاضر حتى يتوفر لدى صانع القرار مجموعة أكبر من البدائل في زمن يتسارع فيه انتشار كل ما هو محلي ليتخطى الحدود القومية ويؤثر في باقي الأقطار كالأزمات... من هنا كان لزاما علينا أن نتعرف أكثر على الدراسات المستقبلية كمفهوم وكبحوث تركز على عدد من المناهج والأساليب. فما هي مناهج وأساليب الدراسات المستقبلية ؟

فرضيات الدراسة :

اعتمدنا في دراستنا على فرضيتين هما :

- تتعدى الدراسات المستقبلية من حيث المناهج والأساليب والبيانات حدود التخصص العلمي الواحد.
- إن الدراسات المستقبلية ضرورة ملحة في الوطن العربي .

المناهج المتبعة :

اعتمدت هذه الورقة على مجموعة من المناهج هي

المنهج التاريخي: في تتبع تكون ووضوح مفهوم الدراسات المستقبلية بالشكل الذي ندرسه اليوم من جهة، وتتبع التطور التاريخي في ما يخص الاهتمام بالدراسات المستقبلية خاصة في العالم العربي.

منهج تحليل المضمون: استعملنا هذا المنهج في تحليل بعض الوثائق التي تشمل مشاريع وإسهامات عربية في مجال الدراسات المستقبلية.

المنهج المقارن: اعتمدنا عليه ولو بصفة أقل من المنهج التاريخي ومنهج تحليل المضمون، وذلك في الإشارة إلى الفرق بين العالم العربي والغرب في ما يخص الاهتمام بالدراسات المستقبلية والإسهامات المقدمة في هذا المجال.

التصور المنهجي المناسب:

مقدمة

أولاً: ماهية الدراسات المستقبلية

1- مفهوم الدراسات المستقبلية

2- أسس وأنواع الدراسات المستقبلية

3- تصنيف الدراسات المستقبلية

ثانياً: أساليب ومناهج الدراسات المستقبلية في العلوم السياسية

1- أساليب الدراسات المستقبلية

2- مناهج الدراسات المستقبلية

ثالثاً: توطيد الدراسات المستقبلية في الوطن العربي

1- الإسهامات العربية في مجال الدراسات المستقبلية

2- معوقات الدراسات المستقبلية

خاتمة

أولاً: ماهية الدراسات المستقبلية :

نشأ أول اهتمام بالدراسات المستقبلية في الغرب والولايات المتحدة الأمريكية خاصة المتعلقة بالإستراتيجية الأمريكية المناسبة لمواجهة الأخطار المحتملة على الصعيد الدولي، وذلك في حقبة الحرب العالمية الثانية وما بعدها ثم تداعيات الحرب الباردة وإعلان الولايات المتحدة عن مشروعها العالمي ومصالحها القومية المنتشرة في العالم أجمع.

1- مفهوم الدراسات المستقبلية

أ- مفهوم الدراسات المستقبلية :

يعود أول استخدام لمصطلح دراسة المستقبل الى المؤرخ الألماني "أوسيب فلنختاهيم" سنة 1930م يسمى futurology وهو الاسم الشائع للدراسة المستقبلية في اللغة الانجليزية، يقابله في الأدبيات الفرنسية مصطلح Prospective للعالم "جاستون برجيه" ⁽¹⁾.

○ تعريف الدراسات المستقبلية لغة :

يطلق على نفس الحقل العلمي مجموعة من التسميات من بينها ⁽²⁾:

1- الدراسات المستقبلية (Studies Futures)

2- علم المستقبل (Futurology)

⁽¹⁾ نبيه، محمد صالح أحمد: "المستقبلات والتعليم"، بيروت: دار الكتاب اللبناني (2002) ص 9 .

⁽²⁾ الساعدي، رحيم: "تصنيع المستقبل .من كتاب مقدمة إلى علم الدراسات المستقبلية"، مجلة كتابات الالكترونية، 16 تشرين الثاني، الساعة 22.12 على الرابط الالكتروني:

<http://www.kitabat.com/ar/page/16/11/2011/442/%D8%AA%D8%B5%D9%86%D9%8A%D8%B9->

- 3- بحوث المستقبل (Research futures)
 - 4- دراسات البصيرة (Studies Foresight)
 - 5- التحركات المستقبلية (Movement Futures) وغيرها من المرادفات أشتق مصطلح علم المستقبل من الكلمة اللاتينية (futurms) التي تعني المستقبل، والكلمة اليونانية "لوغوس" التي تعني العلم. وتعني كلمة (Future): مقل، آت، أما (Futurism) التي تعني المستقبلية فهي حركة في الفن⁽³⁾.
- يفيد لفظ المستقبلية في اللغة النسبة إلى المستقبل فالياء ياء النسب فيقال: مستقبلي نسبة إلى المستقبل. والمستقل هو الزمن الذي يأتي بعد الحاضر⁽⁴⁾.

○ تعريف الدراسات المستقبلية اصطلاحاً:

يجمع المشتغلون بالدراسات التي تتناول المستقبل على أنها: "اجتهاد علمي منظم يرمي على صياغة مجموعة من التنبؤات المشروطة تشمل المعالم الرئيسية لأوضاع مجتمع ما أو مجتمعات عبر فترة عقدين أو أكثر، وتنطلق من بعض الافتراضات الخاصة حول الحاضر والماضي لاستكشاف أثر دخول عناصر مستقبلية على المجتمع أو المجتمعات"⁽⁵⁾.

تعريف الدراسات المستقبلية أيضاً بأنها: "مجموعة من البحوث والدراسات التي تهدف إلى الكشف عن المشكلات ذات الطبيعة المستقبلية والعمل على إيجاد حلول عملية لها، كما تهدف إلى تحديد اتجاهات الأحداث وتحليل المتغيرات المتعددة للموقف المستقبلي، والتي يمكن أن يكون لها تأثير على مسار الأحداث"⁽⁶⁾.

(3) البلعلبيكي، منير: المورد: قاموس انجليزي -عربي، ط33، دار العلم للملايين، بيروت، 1999، ص 375 .

(4) آبادي، الفيروز: القاموس المحيط، ط 1، دار العلم للملايين، لبنان، بيروت 1979، ص 153

(5) الدجاني، أحمد صديقي: "عن المستقبل برؤية مؤمنة مسلمة" ط1، دار البشير، الأردن، عمان، 1992، ص 2 .

(6) فله، فاروق عبده وآخرون: "الدراسات المستقبلية منظور تربوي" ط1، دار المسيرة، الأردن، عمان، 1420 هـ،

كما يمكن تعريف الدراسات المستقبلية بأنها: " التنبؤ المشروط من منظور احتمالي وعلمي ونسبي" (7).

أو أنها: "تخصص علمي يهتم بصقل البيانات وتحسين العمليات التي على أساسها تتخذ القرارات والسياسات في مختلف مجالات السلوك الإنساني، مثل الأعمال التجارية والحكومية والتعليمية والغرض من هذا التخصص مساعدة متخذي القرارات أن يختاروا بحكمة من بين المناهج البديلة المتاحة للفعل في زمن معين (8).

كما عرفت الدراسات المستقبلية على أنها العلم الذي يرصد التغيير في ظاهرة معينة ويسعى لتحديد الاحتمالات المختلفة لتطورها في المستقبل، وتوصيف ما يساعد على ترجيح احتمال على غيره. وعلى هذا الأساس تتباين الدراسة المستقبلية على الدراسة الإستراتيجية، فالثانية تقوم على هدف يكون قد حدد ثم البحث عن أدوات تحقيق هذا الهدف، بينما الدراسات المستقبلية تسعى لاستعراض الاحتمالات المختلفة للظاهرة. كما تختلف الدراسة المستقبلية عن التنبؤ في أن الأخير يحسم في أن الظاهرة ستتخذ مساراً معيناً، بينما لا تزعم الدراسة المستقبلية مثل ذلك أبداً (9).

2- أسس وأنواع الدراسات المستقبلية:

أ- أسس الدراسات المستقبلية:

تقوم أسس الدراسات المستقبلية في النماذج العالمية على:

(7) زاهر، ضياء الدين: "مقدمة في الدراسات المستقبلية: مفاهيم أساليب تطبيقات، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، 2004، ص 51.

(8) زاهر، ضياء الدين: "مقدمة في الدراسات المستقبلية: مفاهيم أساليب تطبيقات، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، 2004، ص 51.

(9) عبد الحى، وليد: "الدراسات المستقبلية النشأة والتطور والأهمية"، في مجلة التسامح نحو خطاب إسلامي متوازن على الرابط الإلكتروني: <http://www.altrasamoh.net/Article.asp?Id=44> بتاريخ: 3-01-2013 م

1- تحديد المتغيرات التي تؤدي إلى انهيار أو بقاء النظام الدولي في حالة توازن، وأهم الأفكار التي برزت في هذا الجانب هي أفكار العالم بروغوجين (Progogine) عن فلسفة عدم الاستقرار (Philosophy of Instability) والتي كان لها أثر على مفهوم النظام في الدراسات المستقبلية.

2- تحديد ميكانيزمات التكيف المتوفرة للنظام الدولي لمواجهة التغيرات المحتملة مثل العلاقة المستقبلية بين سباق التسلح وازدياد نسبة الفقر.

3- تحديد قدرة الوحدات الدولية القائمة على تعبئة مواردها لمواجهة التغيرات.

4- تحديد المسوغات القانونية المبررة لتدخل القوى الخارجية لضبط الخلل على المستوى الدولي.

5- اعتبار عملية التغير هي القاعدة.

ب- أنواع الدراسات المستقبلية :

يمكن تقسيم الدراسات المستقبلية إلى ثلاثة أنواع تتفرع منها حقول تخصصية كثيرة على حسب حالات الميادين التي يراد البحث عن مستقبلها وهي (10):

1- الدراسات التنبؤية :

تبدأ بتعيين محطة من أحداث المستقبل وترسم مسار مستقبلي ما بين الحاضر المعلوم وتلك الأحداث المستقبلية المعلوم في خطوات وتصورات الأحداث.

2- الدراسات الاستقرائية :

التي تعتمد على استقراء الأحداث التاريخية الماضية والحاضرة ورصد مسار الحركة التاريخية واتجاهها نحو المستقبل، لتخمين الوقائع المحتملة وكتابة التصورات (السيناريوهات)

(10) ديناء، محمد جبر: " تفعيل منهج التصور المستقبلي في دراسة العلاقات الدولية من الوجود الترفي إلى الضرورة

الإستراتيجية"، مجلة العلوم السياسية، العددان 38-39، ص 356 .

وبيان رؤاهم عما سيحدث في المستقبل لعقد أو اثنين أو ثلاثة عقود قادمة، وهذا النوع يعتمد على الإستراتيجيون وهو يتطلب فريق عمل جماعي من المتخصصين في العلوم السياسية.

3- الدراسات الافتراضية :

التي تعتمد على افتراض المستقبل وخلق أحداثه بما يلاءم الأهداف والطموحات المراد تحقيقها، هذه الدراسات تخلق مسارا افتراضيا يبدأ من الحاضر وينتهي بالأهداف المراد تحقيقها في المستقبل، وهي تشبه إلى حد كبير كتابة سيناريو لفيلم يراد إخراجها على شاشة الواقع باستخدام الأدوات والشخص والامكانات المتاحة، مع التوصية بتطويرها بما يلاءم حجم ونوع الأهداف.

3- تصنيف الدراسات المستقبلية :

اختلف المفكرون في تحديد صفة وطبيعة الدراسات المستقبلية، فمنهم من نظر إليها على أنها تعبير عن فلسفة معينة، ومنهم من صنفها على أنها فن من الفنون، وذهب فريق آخر إلى اعتبارها منهج أو علم .

أ- الدراسات المستقبلية كفلسفة :

تعد المستقبلية باعتبارها فلسفة، فكرة تقدمية إنسانية تدور -من ناحية -حول رؤية الأشياء والظواهر والأنظمة في حركتها إلى الأمام، ولأنها -من ناحية ثانية- تقوم على اعتبار إنساني هام، هو التجرد من الذات الحالية، والبحث في حياة القادمين حلا لمشاكلهم⁽¹¹⁾.
تدور المستقبلية كفلسفة حول عدة محاور تبحث فيها، أبرزها محور الزمن والاكتمال وقدرة التعليم على التغيير الشامل، والصدفة والمفاجأة، دور كل من القوة الإلهية والإرادة

(11) خلاف، هاني محمد: "المستقبلية بين المنهج العلمي والفكر الشرعي"، مجلة المستقبلية، ع1، المركز الإسلامي

للدراسات المستقبلية، الفلاح للنشر، لبنان، بيروت، ص11

البشرية في تحريك التاريخ، وموقع الإنسان والأرض من النظام الكوني، والمسؤولية الأخلاقية والإنسانية المتوارثة بين الأجيال (صراع الأجيال) (12).

ب- الدراسات المستقبلية كعلم:

يحصّر البعض مفهوم المستقبلية باعتبارها علما في كونها عبارة عن طريقة أو أسلوب للتنبؤ وفق تصورات وخيالات الكتاب والعلماء، غير أنه يعتمد الآن على مفهوم التحسب prospective، أو استشراف صورة ممكنة للمستقبل، وبناء نظرة تركيبية كلية جامعة، تستطيع أن ترشد هذا المستقبل وتوجهه، وتستطيع أن تكون منطلقا لسياسات اجتماعية مستمدة من ضرورات ذلك المستقبل (13).

يتعدى مفهوم المستقبلية باعتبارها علما حدود محاولة التنبؤ بالمستقبل واستشرافه، إلى تحقيق أهداف محددة. فالمستقبلية باعتبارها علما تستهدف وضع تصورات وبدائل تساعد المسؤولين وصانعي القرار في اختيار ما يناسب الأجيال القادمة (14).

ج- الدراسات المستقبلية كمنهج:

أما المستقبلية بوصفها منهجا، فهي في الواقع الإضافة الحقيقية التي يمكن أن تكون من أكثر علامات المعرفة إشعاعا في القرن العشرين، وقيمة هذا المنهج فيما يقدمه من تيسير لعمليات استطلاع المستقبل في عالم تزداد فيه أهمية الزمن كعامل من عوامل الاستقرار أو القلق الجماعي؟ وعنصر من عناصر التقدير والتخطيط والتشريع (15).

(12) خلاف، هاني محمد، مرجع سابق، ص 11-12.

(13) عبد القادر، مصطفى: "استشراف المستقبل دور التعليم المصري في تحقيقه"، مجلة دراسات تربوية، ع24، ج 5، مصر، القاهرة، ص78.

(14) النعيري، محمد بن أحمد حسن، "أسس دراسة المستقبل المنظور الإسلامي"، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا،

2009، ص 29

(15) خلاف، هاني محمد، مرجع سابق، ص 11-12

- رغم الاختلاف في تصنيف الدراسات المستقبلية، إلا أنه سواء كانت علماً أو فناً أو منهجاً فهي في كل الأحوال هدفها استطلاع المستقبل بغرض الوصول إلى حل لمشاكله.

ثانياً: أساليب ومناهج الدراسات المستقبلية في العلوم السياسية

1- أساليب الدراسات المستقبلية :

إن معظم الأساليب التي يستخدمها دارسو المستقبلات هي أساليب مقترضة من مجالات وحقول معرفية أخرى، كالإحصاء والاقتصاد والسياسة والعسكرية والاجتماع والهندسة وغيرها، والقليل منها هو الذي صمم أساساً للدراسات المستقبلية أو توصل إليه باحثون في المستقبلات مثل أسلوب دلفي (Delphi Method) وأسلوب البحث المستقبلي الاثنوجرافي (ethnographic futures research).

تنقسم أساليب وطرق الدراسات المستقبلية إلى ثلاثة أصناف متداخلة فيما بينها يصعب التفرقة بينها لصعوبة التفرقة فيها بين ما هو كمي منها وما هو كيفي، أو بين ما هو استطلاعي وما هو استهدافي، أو بين ما هو نظامي وما هو موضوعي. لذلك ارتأينا أن نذكر بعض الأساليب دون ذكر تصنيفاتها.

1- طرق السلاسل الزمنية (time series methods) :

تعبر عن سلوك المتغير أو المتغيرات موضع الاهتمام وفق نظرية ما، ولا تقوم على نماذج سببية causal، وتشمل طرق ونماذج تتفاوت من حيث التعقيد والكم المطلوب من المعلومات المسبقة، منها:

- نموذج الخطوة العشوائية random walk model: الذي يفترض أن قيمة المتغير في فترة ما هي قيمته التي تحققت في فترة سابقة (ولذا يطلق عليه نموذج عدم التغير).
- طرق إسقاط الاتجاه العام trend extrapolation: بالمتوسطات المتحركة وتحليل الانحدار.

○ أساليب تفكيك السلاسل الزمنية للتنبؤ بالتغيرات الموسمية.

○ طرق التمهيد الأسّي للسلاسل الزمنية

○ الطرق المعتمدة على النماذج الإحصائية للسلاسل الزمنية مثل: نموذج بوكس - حينكنز.

2- طرق الاسقاطات السكانية :

من أشهرها ما يعرف بطريقة الأفواج والمكونات cohort-component، حيث يتم حساب النمو في عدد السكان من مكونات محددة كالمواليد والوفيات والهجرة الى الدولة والهجرة من الدولة، ويمكن التنبؤ بعدد السكان في كل فوج أو شريحة عمرية - جنسية استنادا إلى معدلات الخصوبة ومعدلات البقاء على قيد الحياة حسب العمر والجنس.

3- النماذج السببية (causal models) :

يتم من خلالها التنبؤ بقيمة متغير ما أو مجموعة متغيرات باستعمال نموذج يحدد سلوك المتغيرات المختلفة استنادا إلى نظرية ما .ومن أشهر هذه النماذج:

○ نماذج الاقتصاد القياسي econometric models.

○ نماذج المدخلات والمخرجات input-output models.

○ نماذج البرمجة programming models أو الأمثلي optimization.

○ نماذج المحاكاة simulation models.

○ نماذج ديناميات الأنساق systems dynamics.

إلى جانب هذه النماذج الكمية الصريحة، قد تتخذ النماذج أشكالا أقل صرامة من الناحية المنهجية، فقد يعبر عنها لفظيا بجمل منطقية، وقد يعبر عنها بالأشكال البيانية وخرائط التدفقات flow charts. وفي بعض الحالات تجري المحاكاة الى ما قد يحدث في الواقع ليس اعتمادا على نماذج من هذا النوع أو ذاك، بل على محاكيات فعلية actual analogs كنماذج الطائرات مثلا.

4- الألعاب والمباريات gaming :

تعتمد هذه الطريقة على المحاكاة من خلال الباحث في الدراسات المستقبلية يشترك فيها أناس كلاعبين يقومون بأدوار role playing يتخذون فيها قرارات أو تصرفات، ويستجيبون لقرارات وتصرفات غيرهم، ويبدون ردة فعلهم إزاء أحداث معينة. ويتم استخراج الصور المستقبلية البديلة باستعمال نماذج لفظية أو رياضية أو كمبيوترية أو محاكاة فعلية.

5- تحليل الآثار المقطعة cross impact :

هو أسلوب لفهم ديناميكية نسق ما، والكشف عن القوى الرئيسية المحركة له. كما أنه أسلوب لفرز التنبؤات الكثيرة والخروج منها بعدد محدود من التنبؤات، وذلك بمراعاة أن احتمال وقوع بعض الأحداث يتوقف على احتمال وقوع أحداث أخرى. أي أنها طريقة لأخذ الترابطات وعلاقات الاعتماد المتبادل بين الظواهر أو المتغيرات أو التنبؤات في الحسبان.

6- الطرق التشاركية participatory methods :

تتيح المجال لمشاركة القوى الفاعلة أو الأطراف المتأثرة بحدث ما في عملية تصميم البحث وجمع المعلومات اللازمة له وتحليلها واستخراج توصيات بفعل اجتماعي معين بناء على نتائجها. وهي أكثر الطرق استعمالاً من النشطاء في مجال المستقبلات ومن أمثلتها:

○ طريقة الممارسة المستقبلية بالمشاركة participatory futurepraxis

○ طريقة البحث التشاركي الموجه للفعل الاجتماعي participatory action research.

○ طريقة ورش عمل المستقبلات futures workshops

○ طرق إجراء التجارب الاجتماعية social experiments

○ البحوث المستقبلية الأنثوغرافية ethnographic futures التي تركز على استطلاع

المستقبلات الثقافية - الاجتماعية من خلال مقابلات مطولة، مفصلة ومتكررة مع مجموعة من الأفراد المشتغلين بظاهرة ما، أو التي يحتمل تأثرها بحدث ما.

7- طرق التنبؤ من خلال التناظر والإسقاط بالقرينة :

تقوم أساليب التناظر على استخراج بعض جوانب الصور المستقبلية استنادا إلى أحداث أو سوابق تاريخية معينة والقياس على ما فعلته دول معينة في مرحلة أو أخرى من مراحل تطورها لانجاز معدل ما للنمو الاقتصادي مثلا.

أما أساليب الإسقاط بالقرينة فتقوم على افتراض أن ثمة ارتباط زمني بين حدثين، حيث يقع أحدهما قبل الآخر عادة، بحيث يمكن التنبؤ بالحدث اللاحق استنادا إلى الحدث السابق .

8- طرق تتبع الظواهر وتحليل المضمون :

يقصد بطريقة تتبع الظواهر monitoring استخدام طائفة متنوعة من مصادر المعلومات في التعرف على الاتجاهات العامة لمتغيرات معينة، مع افتراض أن الاتجاهات العامة التي يتم الكشف عنها هي التي ستسود في المستقبل.

أما طريقة تحليل المضمون content analysis فهي تركز على تحليل مضمون الرسائل messages التي تحملها الكتب و البحوث والصحف والمجلات وما يذاع في الإذاعة والتلفزيون وغيرها، وتسجيل مدى تكرار عبارات أو كلمات تحمل قيمة توجهات معينة، وبناء استنتاجات مستقبلية على تحليل هذه التكرارات.

9- تحليل آراء ذوي الشأن والخبرة :

ومن هذه الأساليب طريقة المسموح surveys التي يتم فيها استطلاع رأي أو توقعات عينة من الأفراد سواء من خلال استبيان يرسل بالبريد أو يتم تعبئته عن طريق المقابلة الشخصية أو الاتصال التلفوني. ومنها:

- طريقة ندوة الخبراء panel discussion
- طريقة الاستشارة الفكرية أو القدح الذهني brain storming
- طريقة دلفي Delphi method

يتم فيها استطلاع الآراء والتحاور بشأنها مرة واحدة، كما في ندوة الخبراء والاستشارة الفكرية أو عدة مرات كما في طريقة دلفي.

10- السيناريوهات Scenarios :

السيناريو هو وصف لوضع مستقبلي ممكن أو محتمل أو مرغوب فيه، مع توضيح ملامح المسار أو المسارات التي يمكن أن تؤدي إلى هذا الوضع المستقبلي، وذلك انطلاقاً من الوضع الراهن أو من وضع ابتدائي مفترض. كل الدراسات تنتهي إلى سيناريوهات، أي إلى مسارات وصور مستقبلية بديلة. فالسيناريو هو المنتج النهائي لكل طرق البحث المستقبلي، ولهذا فإن بعض المستقبلين يعتبرون أن السيناريو هو الأداة التي تعطي للدراسات المستقبلية نوعاً من الوحدة المنهجية وذلك بالرغم من أن الطرق التي يمكن أن تستخدم في إنتاج السيناريوهات تتنوع تنوعاً شديداً.

فالسيناريوهات يمكن أن تبنى أي من الطرق السابق ذكرها أو بمجموعات معينة منها. كما يمكن أن تبنى بطرق أخرى لم تتعرض لها كالسيناريوهات التي تعتمد اعتماداً كلياً على الخيال العلمي أو الإبداع الأدبي أو الحدس أو الاستبصار foresight، التي قد ينفرد بكتابتها شخص واحد لا فريق من الباحثين العلميين.

2- مناهج الدراسات المستقبلية :

اعتمدت الدراسات المستقبلية على عدة مناهج لضبط مهامها وتصوراتها المستقبلية منها:

أ- المنهج الحدسي :

القائم على الخبرة والمعرفة السابقة المتراكمة.

ب- المنهج الاستكشافي :

يمثل استطلاع مستقبل علاقات ماضوية عن طريق أنموذج صريح للعلاقات المتشابكة

ج- المنهج الاستهادي :

يمثل التداخل الواعي والمباشر لتغيير المسارات المستقبلية في ضوء أهداف وأحكام محددة.

د- المنهج الشمولي:

يمثل التعبير الدقيق عن الظواهر والحركات والتغيرات والتشابكات والتفاعلات كلها، فلا تحمل العلاقات التي كانت في الماضي ولا تحمل الأسباب الموضوعية التي ستفرض نفسها لتغيير المسارات المستقبلية.

و- المنهج التصوري:

هو منهج علمي واسع الاستعمال في الدراسات المستقبلية التي يقوم بها، ويعتمد عليها الخبراء والباحثون وصناع القرار في دراساتهم وقراراتهم الإستراتيجية في المجال السياسي الدولي. تسمح لنا هذه الدراسات بضبط وتحديد العلاقات السياسية المستحسن انتهاجها في ضوء التوقعات الجيوسياسية بطريقتين:

○ الاستعمال التوقعي للتصور:

يكون بدراسة عدة سيناريوهات بديلة واستكشاف نتائجها، ثم اختيار السيناريو المؤدي لأفضل النتائج.

ينطلق من المعطيات لتصور الأهداف.

يسمح الاستعمال التوقعي للتصور لأصحاب القرار بالإجابة على تساؤلات مثل: ماذا يحصل في حالة وقوع هذا السيناريو أو ذاك؟

يعد هذا النوع من التصور الأكثر استعمالاً في الوقت الحاضر، اعتمد عليه-مثلاً- الخبراء الأمريكيين في تصور خريطة العالم في سنة 2020، وتمكنوا بواسطتها من الحصول على المعلومات القيمة والمؤشرات اعتماداً على عشرات الخبراء والمختصين في العلاقات الدولية والدراسات المستقبلية، اعتمدوا على مصادر وفرضيات جادة، فتصوروا وتفحصوا

بصورة عميقة أكبر التوجهات المتوقعة لعالم الغد في مختلف المجالات: السياسة، الاقتصاد، البيئة الديانة، الإرهاب.

○ الاستعمال التقريري للتصور:

يكون بتحديد الهدف الذي نريد الوصول إليه عبر الدراسة، ثم إيجاد السيناريو الأحسن الذي يمكن انتهاجه لتحقيق الهدف المعين .

ينطلق هذا النوع من التصور من الأهداف لتصوير الوسائل، ونستعمله للإجابة على تساؤلات مثل: مثل ما هو السيناريو الواجب اتخاذه للوصول إلى هدف معين؟

ثالثا: توطين الدراسات المستقبلية في الوطن العربي:

إن الدراسات المستقبلية ليست بالترف الفكري الذي يجعلنا نحمن ونفكر هل نجعلها محطة من محطات اهتمامنا الفكرية ؟ أم نتغاضى عنها، بل هي ضرورة ملحة تحتاجها المجتمعات النامية والمتخلفة أكثر مما تحتاج إليها الدول المتقدمة خاصة في زمن العولمة وتنامي الظواهر العابرة للحدود التي تستدعي حقا التنبؤ بها لتمكين الدول والمجتمعات من اتخاذ السياسات اللازمة في الوقت المناسب أو تطوير عوامل القوة ...

1-الإسهامات العربية في مجال الدراسات المستقبلية:

قبل السبعينات من القرن العشرين لم تظهر سوى محاولات ضئيلة وهشة في مجال الدراسات المستقبلية في الوطن العربي افتقرت إلى الأدوات والتقنيات المنهجية، إلا أن التغير في مفاهيم التنمية وهجرة المفاهيم التقليدية القديمة التي تعالج أوضاعا ستاتيكية، واستبدالها بمفاهيم التنمية المستدامة، وجه الاهتمام من جديد بالدراسات المستقبلية في الثمانينات والتسعينات من نفس القرن، ذلك أن التنمية بهذا المعنى يمكن أن تستغرق مدى زمنيا أطول من المدى الطويل المتعارف عليه في التخطيط الاقتصادي، كما عرفته بعض التجارب القطرية العربية.

اتسمت الدراسات المستقبلية في الوطن العربي بسمتين:

- السمة الأولى: أن هذه الدراسات كانت عملاً مؤسسيا اضطلعت به مؤسسات معظمها ينتمي إلى المجتمع المدني وليست الحكومات -إلا نادرا -
- السمة الثانية: أن تلك الجهود لم تتصف بالمتابعة والتراكم والاستمرار وبالتالي جاءت منعزلة عن بعضها البعض تفتقر للترباط.

وتتمثل أهم الجهود العربية في مجال الدراسات المستقبلية منذ السبعينات في:

- 1- الدراسة الرائدة في استشراف المستقبل العربي الصادرة في عام 1975 بعنوان: الوطن العربي عام 2000 عن مؤسسة المشاريع والأمناء العربية، قام بها مجموعة من الخبراء والمثقفين العرب بقيادة أنطوان زحلان. بهدف استطلاع التطور المرتقب والمحتمل للوطن العربي عام 2000⁽¹⁶⁾.

تضمنت الدراسة دراسات إقطاعية للسكان والتعليم والتحضر والموارد البشرية والزراعة والري والنفط والنقل والنمو الاقتصادي. وتضمنت كل دراسة قطاعية وصفا للأوضاع الحالية وإسقاطات مبسطة لمستقبل القطاع وتوصيات للعمل في المستقبل مثل الدعوة إلى تخفيض معدلات النمو السكاني وتشجيع انتقال السكان بين الأقطار العربية واستيطان الصحاري وبناء طرق تربط أجزاء الوطن العربي.

إلا أن الدراسة لم تربط بين التصورات القطاعية فافتقرت إلى النظرة الشمولية وقدمت في الأخير نتيجة متفائلة للمستقبل العربي مؤداها أنه إذا استغلت الأقطار العربية مواردها الاستغلال الأمثل، فستضيق فجوة الدخل بين الوطن العربي والدول المصنعة إلى (1-2) أو (1-3) مع مطلع القرن الحادي والعشرين⁽¹⁷⁾.

- 2 - جهود مجموعة التخطيط طويل المدى للأقطار العربية أو مجموعة القاهرة عام 1977 بقيادة إبراهيم حلمي عبد الرحمن وآخرين في معهد التخطيط القومي في القاهرة بالتعاون مع

(16) الوطن العربي عام 2000، مؤسسة المشاريع والأمناء العربية، بيروت، 1975، ص 8.

(17) الوطن العربي عام 2000، المصدر السابق، ص 7.

الصندوق العربي للإئتماء الاقتصادي والاجتماعي في الكويت وغيره من المؤسسات العربية والدولية العاملة في مجال استشراف المستقبل .

اعتمدت المجموعة في تحقيق هدفها المتمثل في إنشاء وتدعيم حركة فعالة للتخطيط طويل المدى في الوطن العربي، على برنامج عمل تضمن: تعيين أهداف التنمية القطرية والإقليمية في الوطن العربي، لكي تستخدم هذه الأهداف كمعايير لتقييم السيناريوهات المستقبلية للوطن العربي، وبناء تصورات مستقبلية بديلة للتنمية القطرية والقومية طويلة الأجل، تتضمن خيارات بديلة للتنمية وتقييم آثارها في أهداف التنمية .

قامت المجموعة فعلا بالعديد من الدراسات التحضيرية لمثل هذا العمل الضخم إلا أن هذا التصميم الطموح لاستشراف المستقبل العربي لم يجد سبيلا إلى التنفيذ، فأجهض في بداياته.

3- ورقة عمل اللجنة الثلاثية المنبثقة عن لجنة خبراء إستراتيجية العمل الاقتصادي العربي المشترك عام 1978. ضمت اللجنة كل من برهان الدجاني، سيد جاب الله، أنطوان زحلان، تمثل هدف الورقة في محاولة ترشيد وتطوير القطاع التجاري، وتسهيل انسياب وتدفق رؤوس الأموال بين الأقطار العربية.

إلا أن هذه الورقة لم تنطلق من رؤية شاملة ومترابطة لصورة المستقبل ولم تركز على موقع ومستقبل الوطن العربي في النظام الاقتصادي العالمي الجديد. واقترحت الورقة أن يتم بناء المستقبل على أساس الوضع الراهن بعيوبه وتشوّهاته، ولم تقترح آليات الانتقال من الأوضاع الراهنة إلى الآفاق الجديدة التي تحملها الدراسات المستقبلية المتعددة .

4- وثيقة إستراتيجية العمل الاقتصادي العربي المشترك، أولوياتها وبرامجها وآلياتها عام 1979 التي أشرف على إعدادها يوسف صايغ ومحمد عبد الفضيل وجورج قرق⁽¹⁸⁾ بدعم من الأمانة

(18) يوسف صايغ، محمود عبد الفضيل وجورج قرق: "استراتيجية العمل الاقتصادي المشترك: أولوياتها، برامجها

آلياتها، برامجها وآلياتها"، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، الإدارة العامة للشؤون الاقتصادية، 1979 .

العامة لجامعة الدول العربية ومجلس الوحدة الاقتصادية العربية والصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي.

لم يتجاوز توجه الوثيقة المستقبلي فترة الثمانينات، عانت نظراتها القطاعية من عدم الترابط، وتبنت توجهها براغماتيا ينطلق من واقع راهن يئن من وطأة التخلف والتجزئة عجزت عن طرح رؤية مستقبلية جديرة بالعمل من أجلها.

5- مشروع المستقبلات العربية البديلة أو صور المستقبل فقي النصف الأول من الثمانينات، قام بتنفيذه منتدى العالم الثالث في القاهرة بالتعاون مع هيئة الأمم المتحدة، صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية (19).

أكد هذا المشروع على أهمية الدراسات المستقبلية في بلادنا وبرهن على أنه ثمة أكثر من مستقبل واحد ممكنا وأن أيا من المستقبلات البديلة يتوقف على خياراتنا الراهنة، لأن القرارات الحالية تؤثر في شكل المستقبل. ومن ثم يدعو إلى ترشيدها على أساس من التصور السليم للمستقبل، ويؤكد أن التطور المستقبلي للوطن العربي لا تصنعه التطورات الاقتصادية فقط، بل يتم في إطار من تطور حضاري شامل.

حدد المشروع مجالات البحث التي يتطرق لها في العلاقة بين البنى الاجتماعية والسياسية والتنمية، وعملية صنع القرار والديمقراطية والاتصال الجماهيري والمشاركة الشعبية، والاتجاهات الاجتماعية والسياسية والثقافية وآليات التبعية، والوطن العربي والنظام العالمي المتغير، والآثار غير المدروسة للثروة النفطية، والموارد البشرية وموارد واستخدامات العلم والتكنولوجيا والفنون والآداب في الإطار المؤسسي للتكامل العربي وقضايا الأقليات. ومعظم هذه المجالات تشكل "عوامل حاکمة" "Driven Forces" أو مسارات حرجة للمستقبل العربي.

قدم المشروع سيناريوهين للمستقبل العربي:

(19) سعد الدين ابراهيم وآخرون: "صور المستقبل العربي"، ط3، مركز دراسات الوحدة العربية، 1989.

○ الأول تشاؤمي، يفترض استمرار الأوضاع الراهنة مع ازدياد احتمالات التدخل الخارجي للمستقبل العربي ما يؤدي إلى تناقص فرص النهضة .

○ الثاني تفاؤلي: انطلق من استغلال الإمكانيات المتاحة التي يمكن أن تخلق مستقبلا عربيا أفضل يتخلص تدريجيا من التبعية للنظام العالمي وشيكاته الأخطبوطية .

ما يؤخذ على هذا المشروع أنه لم يبين نماذج كمية للتطورات المحتملة في الوطن العربي، بل اعتمد على النموذج الحدسي وتقنية الاستبيان، وهو ما عرض نتائج الاستشراف للتحيزات الشخصية، كما اعتمد المشروع على قاعدة بيانات ضعيفة وضيقة جدا وتجاهل وع سقف زمني للمسارات المستقبلية المقترحة.

6- مشروع استشراف مستقبل الوطن العربي، الذي قدمه مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت سنة 1988 . خلاص فيه إلى ثلاثة سيناريوهات بديلة للوطن العربي هي⁽²⁰⁾:

○ سيناريو التجزئة العربية: (ويسمى السيناريو الإتحادي)، وهو سيناريو مرجعي ينطلق من افتراض استمرار الأوضاع الراهنة.

○ سيناريو التنسيق والتعاون: (ويسمى السيناريو الإصلاحية)، ينطلق من الترشيح والاستخدام الأمثل للموارد العربية المتاحة، يمثل الحد الأدنى من التنازلات التي لا تتعارض مع المصالح المباشرة للفئات الحاكمة. يمكن أن يأخذ التنسيق والتعاون شكل تجمعات إقليمية أو شكل تنسيق عربي عام.

○ سيناريو الوحدة العربية: (يمثل المسار التحويلي أو التغير الجذري)، تأخذ فيه الوحدة العربية شكل اتحاد فيدرالي يتم فيه توحيد مركز صنع القرار السياسي، مع احترام التعددية الاجتماعية والثقافية القائمة في الوطن العربي.

(20) خير الدين حسيب وآخرون: "مستقبل الأمة العربية: التحديات والخيارات: التقرير النهائي لمشروع استشراف

مستقبل الوطن العربي"، مركز دراسات الوحدة العربية، 1988.

كانت الفائدة الحقيقية وراء هذا المشروع هي تأصيل الوعي بمعطيات المستقبل واحتمالاته، وتقديم معلومات حوله لوضعي البرامج والاستراتيجيات ومتخذي القرار في الفترة الممتدة ما بين 1985 و 2015 وهي الأفق الزمني للدراسة . كما خلف المشروع وراءه قاعدة بيانات ومعلومات ومناهج وأساليب للتنبؤ يمكن أن يستفاد بها في أغراض التحليل والتقييم وبناء سيناريوهات أخرى إضافية .

رغم انفتاح مشروع المستقبل العربي على سيناريوهات عديدة ممكنة وبعضها كارثي، إلا أنه لم يتوقع العديد من الأحداث الطارئة (wildcards) التي يمكن أن تقطع صيرورة المستقبل كثورات الربيع العربي وتدايعاتها.

7- هناك دراسات قطرية مهمة منها :

○ دراسة إسماعيل صبري في عام 1977 عن تطور مصر بحث فيها ثلاث سيناريوهات:

✓ سيناريو نفي الثورة أو الانقلاب عليها.

✓ سيناريو تجميد الثورة.

✓ سيناريو استمرار الثورة.

○ مشروع مصر 2020: يمثل موقع الريادة في الدراسات المستقبلية القطرية، يميز بين خمسة سيناريوهات بديلة⁽²¹⁾ وهي :

✓ سيناريو مرجعي يعبر عن استمرارية الاتجاهات العامة الراهنة.

✓ سيناريو الدولة الإسلامية.

✓ سيناريو الرأسمالية الجديدة.

✓ سيناريو الاشتراكية الجديدة.

✓ السيناريو الشعبي أو سيناريو التآزر الاجتماعي.

⁽²¹⁾ إبراهيم العيسوي: "الدراسات المستقبلية ومشروع مصر 2020"، سبتمبر 2000، ص 43-44 .

إلا أن التمايز بين هذه السيناريوهات لم يكن كبيراً، ولم يخلو بعضها من تنافر أو تناقض يخل باتساقها الداخلي، كما أن السيناريوهات الخمسة لا تمثل كل القوى السياسية المصرية تمثيلاً دقيقاً. يفيد مروع مصر 2020 في ترشيد عملية صناعة القارات، وتمكين الناس من التعامل العقلاني مع المستقبل، ومن المشاركة في صنعه، والمقارنة بين الخيارات والسياسات من منظور طويل الأجل، وإنتاج تحذيرات مبكرة من أحداث قد يفاجئنا بها المستقبل⁽²²⁾.

● إلى جانب الدراسات المستقبلية الكلية التي نوهنا عنها سابقاً، هناك دراسات أخرى قطاعية عن مستقبل المياه في الوطن العربي، ومستقبل الطاقة والتكامل اللوجستي في الوطن العربي، ومستقبل العلوم التكنولوجية في مصر....

رغم تواضع هذه المشاريع وغيرها، إلا أنها شكلت نوعاً من التراكم المعرفي ووفرت قاعدة بيانات مهمة وخبرة منهجية ونظرية ووضعت لبنة جديدة في بناء التوجه المستقبلي في الثقافة العربية المعاصرة، لكنها لم تكن كافية لإزالة الصعوبات التي تعترض مجرى الثقافة العربية المستقبلية.

2- معوقات الدراسات المستقبلية :

يبدأ القصور في الدراسات المستقبلية في الوطن العربية من بنية تفكيرنا، إذ نعاني غياباً شبه تام للرؤية المستقبلية، أنعكس على مؤسساتنا، وفي الكثير من مظاهر حياتنا. إذ تنحصر معظم محاولات البحث المستقبلي في النطاق الأكاديمي الضيق ولا تكون جزءاً من نسيج التفكير الاجتماعي العام، أو من الممارسة الفعلية سواء على المستوى الحكومي أو على مستوى الأفراد، ولم تتغلغل بعد كثافة ومنهج تفكير في الشركات والمؤسسات العامة والخاصة، بالإضافة إلى افتقارها إلى النظرة الشمولية المتكاملة مع ارتكازها على قاعدة محدودة من البيانات والمعلومات.

(22) محمد إبراهيم منصور: "مشروع مصر 2020: قراءة نقدية وسيناريو لمشروع بديل في 2030"، مستقبل العالم

الإسلامي، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطة، العدد 19، ربيع 2009، ص 156-160.

يرجع الشح في الدراسات المستقبلية في الوطن العربي إلى مجموعة من الصعوبات المنهجية التي تعترض انتشار ثقافة الدراسات المستقبلية في الوطن العربي يمكن تلخيصها فيما يلي:

أ- غياب الرؤية المستقبلية في بنية العقل العربي، وطغيان النظرة السلبية إلى المستقبل في ثقافتنا العربية، وسيطرة التابوهات الموروثة وشيوع أنماط التفكير داخل الصندوق .

ب- ضعف الأساس النظري الذي تستند عليه الدراسات المستقبلية في التراث العربي، إذ يواجه التفكير المستقبلي بمنهج النقدي والعقلاني بالطبيعة بيئة ثقافية معادية تعطل المنطق والاتساق المعرفي الذي يقوم عليه التفكير المستقبلي.

ج- غياب التقاليد الديمقراطية للبحث العلمي العربي، ونعني بتقاليد البحث الديمقراطي، تقاليد الفريق والعمل الجماعي والحوار والتبادل المعرفي والتسامح الفكري والسياسي وقبول التعدد والاختلاف. ترتبط هذه التقاليد بوسائل وتقنيات البحث ذات مضمون ديمقراطي تشاركي، حيث تعتمد على التكامل المعرفي والاعتماد المتبادل بين التخصصات العلمية المتعددة في إطار اجتماعي.

د- قصور المعلومات والقيود المفروضة على تدفقها وتداولها وحرية الوصول إليها وغياب أنظمة قانونية وتشريعية منظمة لتداول المعلومات وحمايتها.

هـ- غياب الأطر المؤسسية المتخصصة بالدراسات المستقبلية، وانشغال الموجود منها بمهم الحاضر وقضاياها الضاغطة على المستقبل وقضاياها المؤجلة .

تجدر الإشارة إلى أن هذه الصعوبات المنهجية والبيروقراطية لم تصادر تماماً كل المجهودات الفكرية في مجال الدراسات المستقبلية في الوطن العربي، بل أضافت إلى جانب التراث المعرفي والمنهجي نوعاً من الوعي بأهمية استشراف المستقبل الذي بات مهمة من واجب الفرد العادي قبل المثقف والمختص في الدراسات المستقبلية.

الختمة :

مما سبق يمكن القول أن الدراسات المستقبلية ضرورة ملحة للمجتمعات النامية والمتخلفة أكثر من الدول المتقدمة ذاتها، إلا أن تزايد الاهتمام بالدراسات المستقبلية وانتشار ثقافتها مرهون بتطور الوعي لدى عامة الناس، وبأجندة من الاهتمامات التي تقوي فرص ازدهار تلك الثقافة وذيوعها وتغلغلها في المؤسسات والهيئات إلى أن تصبح أسلوب حياة قائم .